تقديم

بقلم

فضيلة الأستاذ على حسب الله

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأنزل عليه كتابه الكريم تبيانًا للحق وهدى إلى الصراط المستقيم، وأمره ببيانه وتنفيذ أحكامه بأقواله وأعماله ليكون للأمة من ذلك دستور كامل، لا يغادر من أمور معاشهم ومعادهم صغيرة ولا كبيرة إلا وضع قواعدها، وقرر أصولها، وأضاء طريق الوصول إلى الحق فيها.

فله الحمد والشكر على ما منح عباده من أسباب الهداية، وما ضمن لهم من حفظ كتابه، وما وفقهم إليه من العناية به، والاستهداء فى تفسيره وتطبيقه بقول رسوله ﷺ وعمله.

أما بعد

فقد اصطنع الله محمدا ﷺ لنفسه، ورباه فأحسن تربيته، وكمل خُلُقه حتى قال فيه ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ثم بعثه إلى الناس بشيرًا ونذيرًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقد افترض عليه ما افترض على الناس من طاعته والعمل بكتابه، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]،

وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

وأمره أن يبلغ ما أنزل إليه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]، فبلغ ﷺ ما أمره الله بتبليغه، وشهد الله تعالى له بذلك فى قوله ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ١- ٥]، وقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] ولو أنه قصر فى تبليغ رسالته، أو بلغ ما لم يؤمر بتبليغه -لحلت به عقوبة ربه: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧].

كما أمره أن يبين للناس ما خفى عليهم من مقاصده، ويشرح لهم طرق تنفيذه فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

هكذا أعد الله رسوله للقيام بأعباء رسالته، ثم أمر الناس بطاعته:

أمرهم بطاعته مقترنة بطاعته سبحانه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وأمرهم بطاعته استقلالا فقال سبحانه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ

لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ثم قرر سبحانه أن طاعة رسوله طاعة له، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

ولا خفاء بعد هذا فى أن كتاب الله هو أصل دينه، وأن سنة نبيه ـ قولية كانت أو فعلية ـ هى الموضحة لأحكامه، والمفصلة لإجماله، والهادية إلى طرق تطبيقه، فهما صنوان لا يفترقان، ومنبعان للتشريع متعاضدان، ولا شبهة فى أن طاعة الرسول طاعة لله، ومخالفة أمره معصية لله تعالى، ومن عمل بالقرآن على غير المنهج الذى انتهجه الرسول ﷺ لا يكون عاملا بالقرآن.

وقد جرت سنة الله تعالى فى خلقه أن يختلف الناس فى تقبل دعوات الرسل، والأخذ بأسباب الهداية والصلاح مهما قامت الدلائل ووضحت البينات؛ ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فمنهم من يستجيب لداعى الخير مسرعا مطمئنا، ويتجنب مزالق الجهل والخسران، ومنهم من يركب رأسه ويتبع هواه ويضل عن سواء السبيل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

وقد ابتلى المسلمون فى كل العصور بمن يحاول صرفهم عن الإسلام؛ تارة بالطعن فى كتابه، وأخرى بمحاولة انتقاصه من أطرافه، بالطعن فى السنة التى تفصل ما أُجْمِل منه، وتوضح ما خفى، وكأنهم حين وقفوا من القرآن أمام جبل شامخ لا يلين، ورجعوا بعد العناء بخفى حنين ـ ظنوا أنهم قادرون على النَّيْل منه بتوهين السنة التى هى عماد بيانه، فسلكوا لذلك طرقا، وتكلفوا شططًا، فمنهم من تجنى على الرواة وطعن فى عدالتهم وصدقهم، ومنهم من طعن فى متن الحديث فأنكر منه ما لم يوافق هواه، ومنهم من ادعى انقطاع الصلة بين الرسول وما يروى عنه وتعذر تمييز الصحيح منه من السقيم، لإهمال تدوينه نحو قرنين من الزمان، وانتشار وضع الحديث انتصارًا لرأى أو إبطالا لمذهب، فدعا إلى إهمال الحديث جملة والاكتفاء بالقرآن الكريم، ومن المؤسف حقاً أن يقول بهذا الرأى من يزعم أنه من المسلمين.

ولكن العلى القدير الذى تكفل بحفظ كتابه وأصول دينه بقوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩] كان يمنح معونته وتوفيقه دائمًا للمتقين المخلصين، ويخذل أعداءه المعاندين: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [الأنعام: ١٠]، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [الحج: ٥٢]، ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فلهذا هيأ لدينه فى كل العصور من يرد كيد الطاعنين فى نحورهم، وهيأ لسنة رسوله ﷺ من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان ـ من عُنِى بالدفاع عنها بعد البحث فى سندها ومتنها، بتعرف أحوال رواتها، وتمييز صحيحها من سقيمها، ثم حفظها تارة فى الصدور، وأخرى فى السطور.

لقد كان المسلمون بين أن يدفعهم الحرص على سنة نبيهم إلى تقبل كل ما يروى حتى لا يفوتهم ما صح منها، وأن يتأثروا بشبه المضللين فيرفضوه كله حذرًا من

الأخذ بالموضوع والوقوع فى الباطل، ولكن الله جنبهم الخطتين، وعصمهم من الوقوع فى الورطتين، ووفقهم إلى الطريقة الوسطى، طريقة الاعتدال البعيدة عن التعصب الأعمى والتحامل الذميم، طريقة الفحص والتمحيص للسند والمتن، ووضع القواعد العلمية الصحيحة لمعرفة من يقبل ومن لا يقبل من الرواة، وما يقبل وما يرد من الأحاديث، وبهذا ميزوا الخبيث من الطبيب، ونالت السنة بجهودهم ما لم يعهد فى شريعة من الشرائع، ولا فى نص من النصوص غير الكتاب الكريم.

وكان مما أثلج صدورنا، وفتح باب الأمل فى شباب عصرنا ـ أن الطالب المؤمن بربه، والغيور على دينه، والمحب لسنة الرسول ﷺ السيد «محمد عجاج الخطيب» ـ سار على توفيق من الله، وهدى من السلف الصالح، فاختار لنيل درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ موضوع «السنة قبل التدوين»، ليدفع ببحثه ما أثاره المضللون من انقطاع الصلة بين الرسول وما بين أيدينا من سنته، ويظهر ما خفى على كثير من الناس من تدوين بعض السنة فى عهد الرسول ﷺ، وبعضها فى عهد الصحابة والتابعين، قبل أن تدون التدوين الرسمى المعروف.

وقد رجح أن التدوين الرسمى بدأ فى منتصف العقد الهجرى الثامن من القرن الأول حين طلب أمير مصر: عبد العزيز بن مروان بن الحكم من كثير بن مرة الحضرمى ـ الذى أدرك سبعين بدريا من الصحابة فى حمص ـ أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ إلا حديث أبى هريرة فإنه كان عنده. ولا يظن بكثير إلا أن يستجيب لطلب الأمير، فيجتمع له بهذا ما كان عنده من حديث أبى هريرة وما عند كثير، وحسبك هذا تدوينًا رسمياً لقسط كبير من سنة رسول الله ﷺ فى ذلك العصر، ويكون ما فعله عمر بن عبد العزيز بعد هذا ـ من العناية بالحديث ومطالبة العلماء فى الأقطار المختلفة بكتابته والجلوس لمدارسته ـ ليس إلا امتدادًا لما شرع فيه أبوه من قبل. وهو رأى يرجحه ما عرف عن السلف من الحرص على حفظ السنة والعمل بها.

وقد اقتضاه البحث أن يتكلم عن الوضع وأسبابه، وجهود الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى مقاومته وتطهير السنة من أوضاره، وأن يتحدث عن آراء بعض المستشرقين ومن انخدع بهم من المسلمين، فند مزاعمهم، ورد الحق إلى نصابه فى مفترياتهم، وبين فضل الصحابة وعدالتهم، وحرصهم على العمل بالسنة وحفظها، وتثبتهم فى روايتها، واقتداء من جاء بعدهم بهم فى ذلك، كما تعرض لما أثير حول بعضهم من شبهات فنفاها عنهم.

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن الطالب كان أصيلا فى بحثه، لم يعوزه توجيه وإرشاد؛ بل جمع بجده كل ما استطاع الوصول إليه من مراجع، وتناول منها كل ما يلائم بحثه، ثم عرض ذلك على مقاييس صحيحة فى نزاهة وصدق وإيمان، وبهذا نظم نفسه فى سلك المحبين للسنة، الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة فيما روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب سنتى فقد أحبنى، ومن أحبنى كان معى فى الجنة**».

والله المسئول أن ينفع الإسلام والمسلمين برسالته، وأن يجعل من شبابنا شبابا صالحًا لا تخدعه مظاهر المدنية الكاذبة، فيعكف على دراسة الدين القويم، والتراث المجيد، ويدفع عنهما تهم المبطلين، وضلال المضلين، وهو الهادى إلى الصراط المستقيم.

المحرم ١٣٨٣ يونيه ١٩٦٣

على حسب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام، والسنة هي المصدر الثاني، لأنها مبينة له، مفصلة لأحكامه، مفرّعة على أصوله وهي التطبيق العملي للإسلام على يد رسول الإنسانية محمد ﷺ، دان المسلمون لأحكامها من لدن الرسول الكريم إلى يومنا هذا، وستبقى إلى جانب القرآن مصدر الأحكام، ومعين الآداب والأخلاق، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فقد كان التمسك بهما سرّ نجاح الأمة الإسلامية، وتقدمها، مصداقًا لقوله ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**».

ولكنه لم يرق لأعداء الإسلام قديمًا وحديثًا، أن يروا ازدهار الأمة الإسلامية وتقدمها، فعملوا على هدم أسس الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم، وكان من الصعب أن ينالوا من القرآن الكريم، فوجهوا سهامهم إلى السنة، وحاولوا تشويهها، فوضعوا الأحاديث، وطعنوا في بعض الصحيح منها، واتهموا بعض الرواة الثقات، ولكن هذا لم ينل من السنة أمام يقظة الأمة وعلمائها الذين ذبّوا عنها وحافظوا عليها.

وسلك أعداء الإسلام سبلاً مختلفة لإنكار السنة جملة بعد التشكيك فيها، فادعى بعضهم أن السنة أهملت بعد الرسول ﷺ أكثر من قرنين إلى أن جمعها بعض المصنفين في كتب السنن في القرن الثالث الهجري، فلم تحفظ كالقرآن الكريم منذ ظهور الإسلام، ولهذا تسرّب إليها الوضع، وأصبح من الصعب تمييز الحديث الصحيح من الموضوع...!! وادعى بعض المستشرقين أن جانبًا من

الحديث قد وضعه الفقهاء ليدعموا مذاهبهم الفقهية!!! وادعى آخرون أن السنة كانت أحكامًا مؤقتة لعصر النبى ﷺ، وأصبحت الآن عديمة الجدوى، وتسربت هذه الفكرة إلى بعض البلاد الإسلامية، وأخذت شكلاً منظمًا، فظهر فى الهند جماعة تنادى بعدم الاحتجاج بالسنة، سمت نفسها (أهل القرآن)، وألفت كتبًا ورسائل كثيرة لنشر أفكارها[1].

وفى رأى هؤلاء جميعًا أن السنة لم تعد صالحة لأن تكون مصدرًا تشريعياً، وأنه يتعيّن لفهم الإسلام الاكتفاء بما جاء فى القرآن، وبخاصة أنه بمقدور العقول النيرة أن تفهمه، كما فهمه الرسول ﷺ!!!

هذه بعض دعاوى أعداء الإسلام، الذين أرادوا من ورائها إبعادَ المسلمين عن دينهم، وخلخلةَ العقيدة فى نفوسهم، ليتمكنوا من نشر مبادئهم فى بلادنا الإسلامية الطيبة، والسيطرة عليها مادياً بعد السيطرة عليها فكرياً، ومما يؤسف له أن بعض شبابنا الذين لم يُتح لهم أن يتثقفوا بثقافة الإسلام قد اعتنقوا هذه الأفكار التى تخدم أعداءنا، وتفرقُ صفوفنا. فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى التمسك بما جاء فى السنة من أحكام وأخلاق وآداب وتوجيه وإرشاد، كما تعتز الأمم بتراثها وتفخر به، ويشهد المنصفون من علماء الأمم الأخرى بعظمة تراثنا التشريعى، فكيف يتنكر له بعض المسلمين، ونحن أحوج ما نكون إلى التمسك به، بعد أن عانى المسلمون وطأة الاستثمار فترة طويلة، وذاقوا مرارة التفرقة والهوان، بعد أن كانوا سادة العالم.

نحن ـ فى نهضتنا ـ بحاجة إلى الرجوع إلى شريعتنا، إلى قرآننا وسنة رسولنا، بعد أن حطمنا القيود، ونفضنا غبار الجهالة، ومزقنا عصابة العماية عن العيون، فلابد لإتمام تحررنا من أن نتخلص من هذه الأفكار التى تسربت إلى صفوفنا، وحملها بعض إخواننا وأبنائنا، سواء أكان هذا عن حسن نية منهم هم أم عن سوء نية، لأنها تخدم أعداءنا الذين لا يسرهم اجتماعُ كلمتنا وسعادتنا.

---

(١) انظر: مقالة تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله.

ولما كانت السنة مبينة للقرآن الكريم، ولا يمكن الاستغناء عنها، ولما كان الواقع فى حفظ السنة يخالف ما ادعاه المغرضون ـ كان لابد من تناول السنة بدراستها وبحث تاريخها، وقد بين الأصوليون وبعض المحدثين مكانة السنة من التشريع الإسلامى، وبقى أن تُبيّن الحقيقة التاريخية للسنة وكيف اعتنى السلف الصالح بها وحفظها ونقلها قبل أن تصلنا فى كتبها المشهورة.

وقد رأيت أن أتناول هذا الجانب من البحث فى فترة ما قبل التدوين، وأقصد بالتدوين هنا التدوين والتصنيف المشهور، الذى كان فى مطلع القرن الهجرى الثانى تمشيًا مع عرف علماء الحديث، والذى يعود الفضل فيه إلى الخليفة عمر ابن عبد العزيز، فليكن هذا هو التدوين الرسمى، ذلك لأنه قد ثبت تدوينُ جانب من السنة فى عهده ﷺ وعهد الصحابة.

تلك أسباب لاختيار هذا الموضوع، وسبب آخر هو أنه لم يسبق لأحد أن بحث كيف اجتازت السنة تلك الحقبة بحثًا دقيقًا وافيًا، إنما كان بحث السلف فى هذه الناحية لا يعدو ذكر لمحات عن تلك الحقبة، لاقتناعهم واقتناع المسلمين بأن السنة قد حفظت على أحسن وجه، بفضل حفاظها وعلمائها؛ لهذا توزعت مادة البحث فى مراجع كثيرة، فى كتب الحديث وشروحها، وكتب مصطلحه وعلومه، وفى تراجم الرواة، وكتب التاريخ والأصول وغيرها. وإذا كانت هذه النتف تشكل معظم مادة الموضوع، فإنها لا تعطى ـ كما هى ـ صورة كاملة عن حقيقة السنة وحفظها آنذاك.

هكذا أقدمت على دراسة السنة فى تلك الفترة، من خلال أمهات المصادر، المخطوط منها والمطبوع، قديمها وحديثها، ويممت شطر أمهات دور الكتب العامة والخاصة، فى دمشق وحلب والقاهرة.. ورجعت إلى مخطوطات نادرة، كما صورت بعض المخطوطات من البلاد التى لم تتيسر لى زيارتها، فكان البحث شاقاً من جهة، ويتطلب الدقة من جهة أخرى، واضحًا حينًا، ومعقدًا أحيانًا، ومع هذا تابعت البحثَ بروح علمية، يحدونى الصبر، وتعللنى ومَضاتُ الأمل. وكان

لإشراف فضيلة الأستاذ على حسب الله وتشجيعه ـ أثر طيب فى إخراج هذا الموضوع بثوب جديد، يصور السنة فى تلك الفترة تصويرًا دقيقًا، من حيثُ عناية الأمة بها وحفظها، والاهتمام بنقلها، والتثبت فى روايتها على أسلم القواعد العلمية، وكتابتها ونشاط العلماء فى تبليغها، وحرصهم على صيانتها، وعوامل انتشارها، ودراسة الأسباب التى كادت تسىء إليها، وجهود العلماء فى سبيل حفظها.

وقد تعرضت لكثير من الشبهات والآراء، وناقشتها، ورددت عليها، وبينت وجه الحق مدعمًا بالأدلة والبراهين، فكان الموضوع فى تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

التمهيد وفيه:

أولاً: التعريف بالسنة لغة وشرعًا.

ثانيًا: موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم.

الباب الأول: السنة فى العهد النبوى.

وفيه تحدثت عن الرسول ﷺ من حيث هو معلم ومرب، وبينت موقفه عليه الصلاة والسلام من العلم، ومنهجه فى التبليغ، وتعليم أصحابه رضى الله عنهم، وكيف كان الصحابة يتلقون السنة عنه عليه الصلاة والسلام، ثم خاتمته بانتشار السنة فى عهد الرسول ﷺ.

الباب الثانى: السنة فى عصر الصحابة والتابعين، وفيه فصلان:

الفصل الأول، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تأسى الصحابة والتابعين بالرسول ﷺ وتمسكهم بسنته.

المبحث الثانى: احتياط الصحابة والتابعين وردعهم فى رواية الحديث.

المبحث الثالث: تثبت الصحابة والتابعين فى قبول الحديث.

المبحث الرابع: كيف روى الحديث فى ذلك العصر باللفظ أم بالمعنى؟

الفصل الثانى: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين.

المبحث الثانى: انتشار الحديث فى عصر الصحابة والتابعين.

المبحث الثالث: الرحلة فى طلب الحديث.

الباب الثالث: الوضع فى الحديث، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ابتداء الوضع وأسبابه.

الفصل الثانى: جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم فى مقاومة الوضع وحفظ الحديث.

الفصل الثالث: آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها.

الفصل الرابع: أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات، وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث.

الباب الرابع: متى دون الحديث؟ وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حول تدوين الحديث، وفيه أخبار حول كتابة السنة، وأخرى حول كراهية كتابتها ومناقشة هذه الأخبار، وخلاصة هذه المناقشة.

الفصل الثانى: مادون فى عصر الرسول ﷺ وفى صدر الإسلام.

الفصل الثالث: آراء فى التدوين.

الباب الخامس: بعض أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: بعض أعلام الرواة من الصحابة.

وفيه تعرف الصحابى، وعدالة الصحابة، ثم ترجمة المكثرين من الحديث منهم، وهم:

١- أبو هريرة. ٢- عبد الله بن عمر ٣- أنس بن مالك

٤- عائشة أم المؤمنين. ٥- عبد الله بن عباس. ٦- جابر بن عبد الله.

٧- أبو سعيد الخدرى.

الفصل الثانى: بعض أعلام الرواة من التابعين:

١- سعيد بن المسيب. ٢- عروة بن الزبير.

٣- محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى. ٤ نافع مولى ابن عمر.

٥- عبيد الله بن عبد الله. ٦- سالم بن عبد الله بن عمر.

٧- إبراهيم النخعى. ٨ - عامر الشعبى.

٩- علقمة النخعى. ١٠- محمد بن سيرين.

وقد يتبادر للوهلة الأولى أنه يمكننا الاستغناء عن الباب الخامس، بما جاء فى كتب التراجم، ولكنى رأيت من الأهمية بمكان أن أدرس بعض رجال الحديث من الصحابة والتابعين، لأقدم نموذجا عظيمًا عن القلوب الواعية التى حفظت السنة، والأيدى الطاهرة التى نقلتها بأمانة وإخلاص، على أسلم قواعد التثبيت العلمى، وبخاصة أن بعض أهل الأهواء والمستشرقين، كانوا قد طعنوا فى مشاهير الرواة منهم. فرأيت إتمامًا للبحث أن أفند طعونهم وافتراءاتهم حين أترجم لهم، وأبين الحق من الباطل، بعد أن أصبحت أمهات كتب تراجم رجال الحديث فى عصرنا نادرة جداً، وقد يعسر على طلاب العلم الرجوع إليها، فرجح عندى الإقدام على ضم هذا الباب إلى الموضوع، وبهذا أكونُ قد بينت حياة السنة فى هذه الحقبة، ودرست مشاهير حفاظها ونقلتها.

وكانت الخاتمة خلاصة عامة للبحث.

وأنى لأرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت لعرض الموضوع بشكل يحقق الغاية منه، فإنى لم آلُ جَهدًا، ولم أدخر وُسعًا للوصول إلى الحقيقة، وأنا مع هذا

لا أدعى الكمال فى بحثى، وكل ما قمت به لا يعـدو محاولة علمية لدراسة السنة وتاريخها فى فترة معينة على منهج علمى يسهل الرجوع إليه.

وأسأل الله عز وجل أن يوفق الأجـيال إلى دراسة الشريعة الإسلامـية الخالدة، وفهـمها وتطبـيقهـا، وأن يجمع العرب والمسـلمين جمـيعًا على كـتاب الله وسنة رسوله، لنهتدى بهديه، ونعيد للعالم نضارته، ونحقق سعادته، كما حققها أسلافنا العظام.

وأخيرًا أشكر فضيلة أستاذى المشرف، الذى شملنى بعطفه وتوجيهاته، مع كثرة واجباته وتبعاته، وضيق وقته، كما أشكر كل من ساعدنى من أساتذتى وإخوانى، وسهل مهمتى.

وختامًـا أرجو كل من يطلع على هذا البحث فـيجـد مـا يـحـتاج إلى تـعـديل أو تبديل، أن يفيدنى بما عنده، والله أسأله الرشاد والسداد.

***

محمد عجاج الخطيب

٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ
٢٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٢م

تمهيد

- التعريف بالسنة لغة وشرعًا . . .
- موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم.

ختم الله عز وجل رسالات السموات العلا إلى الأرض، برسالة الإسلام، فبعث محمدًا ﷺ رسولا هاديًا، مبشرًا ونذيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

ونبأه بذلك عام ٦١٠ من ميلاد عيسى عليه السلام بعد أربعين سنة من مولده ﷺ، فشرفه الله عز وجل بحمل الرسالة السامية الخالدة، إلى الناس كافة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأمره أن يدعو أهله وعشيرته إلى الإسلام فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥]. ليهدى قومه إلى سبيل الرشاد، فيحملوا عبء تبليغ الرسالة إلى الأمم الأخرى، فيكون لهم شرف المبلغ الهادى، ويخلد اسمهم أبد الدهر كما أراد الله للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وللأمة العربية التى انطلقت تحرر العالم من الظلم والطغيان، وتوجه مركب الإنسانية إلى شاطئ السلام، وتخرجه من الظلمات إلى النور سالكة سبيل الهداية والحق. بعد أن تنكب الناس الصراط المستقيم، وتخبطوا فى غياهب الجهالة والضلال. تتقاذفهم أمواج الأهواء كما تشاء، وتحملهم أعاصير الجبابرة كالهباء. .

إلا أن هداية العرب لم تكن سهلة، بل تحمل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى سبيلها المشاق الكثيرة، وأوذى فى جسمه وماله وأهله وأصحابه ووطنه، وكان يدعو ليلا ونهارًا وسرًا وإعلانًا، ويسأل الله السداد والرشاد، متطلعًا إلى هداية قومه ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة.

لقد أوحى إلى الرسول ﷺ، وقومه على دين آبائهم، وثنية وأصنام، يسودهم النظام القبلى، وتربط بينهم صلة القرابة والدم، لا يحكمهم نظام عام، بل يخضعون للعادات والأعراف، يدفعهم الشرف والمفاخرة بالأنساب إلى المنافسة فى المكارم والمروءات، يعيشون فى حلقة القبيلة والأسرة، فى إطار الجزيرة العربية.

وكان لهذا أثر بعيد فى صفاء نفوسهم ومحافظتهم على أمجادهم وعاداتهم، وتفانيهم فى سبيل مثلهم الأعلى، حتى كانوا يسرفون فى ذلك، فهم كرام يبذلون ما يستطيعون للضيف، فيبلغون فى ذلك حد الإسراف.

ويأبون العار ولو أدى بأعز ما لديهم إلى الردى، ولهذا وأدوا بناتهم خشية الفقر والزلل. ويحبون تحقيق الأمجاد والبطولات، ولكنهم ضلوا الطريق وحرموا العقيدة الموصلة إلى ذلك، ترى العفة والكرامة من أخلاقهم، والكرم والشجاعة من سجاياهم، والحمية والثأر تسير فى عروقهم، فلا ينامون على ضيم، وويل لمن غضب عليه العرب، إذ كانوا يثورون لأتفه الأسباب، يكفى أن يستفز القبيلة فرد أهينت كرامته، فتنطلق جميعها كبارًا وصغارًا تدفع عنه ما أصابه. لأن كرامة الفرد من كرامة القبيلة، وإلى هذا يمكننا أن نرد أكثر الغزوات والغارات التى كانت بين القبائل قبل الإسلام.

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التى كانت بمثابة سجل تاريخى لهم. وكان كل ذلك من المؤهلات التى أعدتهم لحمل الرسالة الإسلامية فيما بعد.

وإذا كانوا قد عبدوا الأوثان فإنهم لم يروها خالقة مدبرةً لأمور الكون وشؤونه، بل عبدوها زلفى إلى الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

ولم تكن عقائدهم معقدة مركبة كما كانت عليه عقائد سكان البلاد المجاورة من الفرس والهند، بل كانوا أصفياء النفوس، ويمكننا أن نقول: إن عندهم فراغا عقديا تستره تلك العبادات والمعتقدات الأولية، التى لم تقف على قدميها أمام عقيدة الإسلام المتماسكة الكاملة. ولهذا كان العرب يمتازون عن غيرهم من الأمم بتلك الصفات التى أهلتهم فيما بعد لأن يكونوا جنود الإسلام وحملة لوائه إلى العالم.

ومع هذا لم يكن من السهل أن يستجيب العرب جميعا إلى دعوة الرسول الكريم بادئ ذى بدء، إذ كان من الصعب أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم، فإذا ما دعاهم إلى الله قال له أقرب الناس إليه: تباً لك!! ألهذا دعوتنا؟ وأوذى ﷺ فى سبيل دعوته كثيراً، ولم يؤمن به إلا نفر قليل: زوجه، وبعض ذويه، وقليل من أهله. وكان لا يفتر عن دعوتهم، ويسخرون منه فيزداد نشاطا وحيوية وراء أمله، ويصورهم الله تعالى فى قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٤]. إلا أن الباطل لا يقوى أمام الحق، فسرعان ما يتقوض، ويظهر ضعفه، كما يتلاشى الظلام حين يكون وراءه النور الساطع.

وهكذا بدأ الإسلام يستولى على القلوب فى مكة رويداً رويداً، ثم انتشر بين بعض سكان يثرب (المدينة المنورة)، وازداد إيذاء المشركين للمسلمين واضطروهم إلى هجر وطنهم فرارا بدينهم.

وفى المدينة بدأت الدولة الإسلامية منظمة برياسة رسول الله ﷺ، وانتشر خبر الإسلام فى أطراف الجزيرة، ولم تمنع أضاليل المشركين العرب من الدخول فى دين الله، دين المساواة والعدالة، عقيدة سهلة سامية، إيمان بالله وطاعة لرسول الله، وعبادات تدخل السعادة والطمأنينة إلى النفوس، نظام يضبط الجماعة ويؤمن حقوق الأفراد... كل هذا جعل القبائل العربية تتهافت إلى المدينة من كل حدب

وصوب، يعلنون إسلامهم، وعم الإسلام الجزيرة العربية بعد الفتح الأكبر، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وانقلبت مكة والمدينة بل الجزيرة العربية إلى موطن إسلامى متماسك تنبع منه إشعاعات الهداية لتنير العالم.

وقد تم ذلك للرسول الكريم خلال اثنتين وعشرين سنة وبضعة أشهر.

وخرج العرب باعتناقهم هذا الدين الحنيف من نطاق القبيلة المغلق إلى صعيد الإنسانية الواسع، ومن إطار الصحراء إلى العالم الشاسع، وانقلبت رابطة الدم والقرابة إلى الأخوة فى الدين، وانتهى نظام القبيلة وحل مكانه نظام الدولة الإسلامية فى مختلف مرافق الحياة وانتقلت حميهم للقبيلة إلى نصرة الحق، وأصبح اعتزازهم بالإسلام وبما يقدمونه من تضحيات وخدمات بدلا من اعتزازهم بالأنساب. واتجه حبهم للأمجاد والبطولات صعدًا إلى تحقيق ما يرضى الله ورسوله، وتحولت شجاعتهم وجرأتهم المحصورة فى النطاق القبلى إلى شجاعة وجرأة فى سبيل نشر الدين الجديد، وتحول كرمهم الذى بلغ حد السرف إلى أعانة الفقراء وإغاثة الملهوفين، وتزويد الجيوش للدفاع عن معتقداتهم وعن إخوانهم فى الدين، وتحرير الأمم من نير العبودية إلى الحرية وعبادة إله واحد... فكان الإسلام شرفًا عظيما لهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[1] [الزخرف: ٤٤] وكان العرب بحق كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

يتبين لنا مما ذكرت أن هؤلاء العرب الذين انطوت نفوسهم على صفات كريمة، وخصال طيبة، وراءها دوافع قوية وحيوية فائقة ـ كان ينقصهم العقيدة الصالحة، والنظام الحسن، فما إن وجدوهما فى الإسلام دين الحنيفية السمحة، حتى كانوا خير حافظ لها، وأول داع إليها، ومن ثم فتحوا قلوبهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وأصغوا إليه، والتفوا حوله ينهلون من المعين الذى لا ينضب، ويتلقون تعاليم الإسلام من رائده ليقوموا بدورهم فى هداية الناس جميعًا، وهكذا تضافر العامل الفطرى الذى تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد (الروحى)،

(١) وإنه لذكر: أى لشرف عظيم، انظر تفسير أبى السعود ص ٤٥ جـ٥.

فظهر الرعيل الأول الذى حمل مشعل النور والحق إلى العالم، ونقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص. ولما كان موضوعنا متعلقا بالسنة، فلننتقل إلى التعريف بها.

أولاً: التعريف بالسنة

١ ـ السنة فى اللغة:

السنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة. قال خالد بن عتبة الهذلى:

فلا تَجْزَعَنْ من سيرةٍ أنت سرْتَها ... فأولُ راضٍ سنةً من يسيرُها

وسننتها سنا واستننتها سرتها، وسننت لكم سنة فاتبعوها.

وفى الحديث: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة**[1]، **يريد من عملها ليقتدى به فيها**».

وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم بعده، قيل هو الذى سنه.

قال نصيب:

كأنى سَنَنتُ الحُبَّ أول عاشق ... من الناس إذا أحببتُ من بينهم وحدى

وقد تكرر فى الحديث ذكر السنة وما تصرف منها. والأصل فيه الطريقة والسيرة.

وإذا أطلقت فى الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبى ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولا وفعلا، ولهذا يقال فى أدلة الشرع الكتاب والسنة، أى القرآن والحديث.

ويجوز أن يكون (لفظ سنة) من سننت الإبل إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها[2].

---

(١) روى الإمام مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء. ومن سن فى الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء» صحيح مسلم ص٧٠٥ جـ٢ وص٢٠٥٩ جـ٤.

(٢) لسان العرب فى مادة (سنن).

٢ ـ السنة فى الشرع:

يختلف معنى السنة فى اصطلاح المتشرعين حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، فهى عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء. ولذلك نرى مدلول معناها من خلال أبحاثهم.

أ ـ فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادى، الذى أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة، وخلق، وشمائل، وأخبار، وأقوال، وأفعال، سواء أثبت ذلك حكمًا شرعيًا أم لا.

ب ـ وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، ولذلك عنوا بأقواله، وأفعاله، وتقريراته التى تثبت الأحكام وتقررها.

جـ ـ وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ، الذى تدل أفعاله على حكم شرعى، وهم يبحثون عن حكم الشرع فى أفعال العباد وجوبًا، أو حرمة، أو إباحة، أو غير ذلك[1].

مما تقدم يتلخص لدينا ما يلى:

السنة فى اصطلاح المحدثين هى: كل ما أثر عن النبى ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه فى غار حراء، أم بعدها.

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى.

السنة فى اصطلاح علماء أصول الفقه: هى كل ما صدر عن النبى ﷺ غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعى.

أما القول فهو أحاديثه ﷺ التى قالها فى مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعى. كقوله ﷺ «**لا وصية لوارث**» وقوله «**لا ضرر**

---

(١) انظر: فتح الغفار بشرح المنار ص ٧٥ جـ٢ والمدخل إلى السنة وعلومها ص ٧ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٦١.

ولا ضرار»[1] وقوله فى زكاة الزروع «**فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًا: العشر. وما سقى بالنضح: نصف العشر**»[2].

وقوله فى البحر «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**»[3].

وأما الفعل فهو أفعاله التى نقلها إلينا الصحابة، مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وأدائه ﷺ مناسك الحج، وقضائه بالشاهد واليمين[4]، وما إلى ذلك.

وأما التقرير فكل ما أقره الرسول ﷺ، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادرًا عن الرسول ﷺ. ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيدًا طيبًا، فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ، فذكرا ذلك له، فقال للذى لم يعد: «**أَصَبْتَ السُّنَّةَ**» وقال للآخر: «**لَكَ الأَجرُ مَرتَين**»[5].

ومنه أيضا إقراره لاجتهاد الصحابة فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة، حين قال لهم «**لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة**»، ففهم بعضهم هذا النهى على حقيقته، فأخرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها فى وقتها، وبلغ النبى عليه الصلاة والسلام ما فعل الفريقان، فأقرهما ولم ينكر على أحدهما[6]. ومنه إقراره لطريقة معاذ بن جبل

---

(١) انظر: سبل السلام ص٨٤ جـ٣ ورواه الإمام أحمد وابن ماجه.

(٢) فتح البارى ص ٩٠ جـ٤، والعثرى ما امتدت عروقه فشرب من نهر أو مستنقع من غير سقى.

(٣) انظر: سبل السلام ص ١٤ جـ١ وقد أخرجه الأربعة وأبو بكر بن أبى شيبة.

(٤) ثبت قضاء الرسول ﷺ بشاهد ويمين، راجع مسند الإمام أحمد: الأحاديث رقم ٢٢٢٤، ٢٨٨٨، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠ جـ٤ وسبل السلام ص١٣١ جـ٤.

(٥) سبل السلام ص٩٧ جـ١ رواه أبو داود والنسائى.

(٦) المدخل إلى السنة وعلومها ص١٠، والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٦٠.

فى القضاء حينما بعثه إلى اليمن. إذ قال له: «**كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟** قال: أقضى بما فى كتاب الله، قال: **فإن لم يكن فى كتاب الله؟** قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: **فإن لم يكن فى سنة رسول الله؟** قال: أجتهد رأيى لا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ صدرى ثم قال: **الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله**»[1].

ـ **وأما السنة فى اصطلاح الفقهاء**: فهى كل ما ثبت عن النبى ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهى الطريقة المتبعة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب.

ـ وقد تطلق السنة عند الفقهاء فى مقابلة البدعة[2]. والبدعة لغة الأمر المستحدث، ثم أطلقت فى الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل فى الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه ﷺ وعن أصحابه. وقد قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3].

ومن ذلك قولهم «فلان على سنة» إذا عمل على وفق ما عمل النبى ﷺ وأصحابه، سواء أكان ذلك مما نص عليه فى الكتاب أم لم يكن، وقولهم: «فلان على بدعة» إذا عمل على خلاف ما عملوه أو أحدث فى الدين ما لم يكن عليه السلف.

وتطلق السنة أحيانا عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به أصحاب رسول الله ﷺ، سواء أكان ذلك فى الكتاب الكريم أم فى المأثور عن النبى ﷺ أم لا[4]. ويحتج لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[5] وقوله أيضًا: «**تفترق أمتى**

---

(١) إعلام الموقعين ص٢٠٢ جـ١.

(٢) انظر: المدخل إلى السنة وعلومها ص١٠ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٦١ عن إرشاد الفحول ص٣١، وتحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها ص٢٢ وتاريخ التشريع الإسلامى ص٦٤.

(٣) صحيح مسلم ص١٣٤٣ جـ٣.

(٤) انظر: المدخل إلى السنة وعلومها ص١١ والحديث والمحدثون ص٩ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٦٠

(٥) من حديث طويل رواه العرباض بن سارية: سنن أبى داود ص٥٠٦ جـ٢ الطبعة الأولى لمصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧١.

على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى»[1].

ومن أبرز ما ثبت فى السنة بهذا المعنى «سنة الصحابة» حد الخمر، وتضمين الصناع، وجمع المصاحف فى عهد أبى بكر برأى الفاروق، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة، وتدوين الدواوين... وما أشبة ذلك مما اقتضاه النظر المصلحى الذى أقره الصحابة رضى الله عنهم[2].

وأعنى بالسنة فى بحثى هذا ما أراده المحدثون، وهى ما يرادف الحديث عند جمهورهم. وإن كان بعضهم يفرق بينهما. فيرى الحديث ما ينقل عن النبى عليه الصلاة والسلام. والسنة ما كان عليه العمل المأثور فى الصدر الأول، ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فيلجأ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح، وعلى ذلك يُحمل قول عبد الرحمن بن مهدى: لم أر أحدًا قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذى يدخل فى السنة من حماد بن زيد[3].

وكذلك قوله عندما سئل عن سفيان الثورى والأوزاعى ومالك: سفيان الثورى إمام فى الحديث وليس بإمام فى السنة، والأوزاعى إمام فى السنة وليس بإمام فى الحديث، ومالك إمام فيهما[4].

ومما يدل على أن السنة هى العمل المتبع فى الصدر الأول قول على ابن أبى طالب لعبد الله بن جعفر عندما جلد شارب الخمر أربعين جلدة: «كف. جلد رسول الله ﷺ أربعين وأبو بكر أربعين، وكملها عمر ثمانين وكل سنة»[5].

وبعد أن بينت معنى السنة لغة وشرعًا أرى من واجبى أن أبين معانى بعض الألفاظ التى تداولها أهل هذا الفن فى علمهم.

(١، ٢) انظر: المدخل إلى السنة وعلومها ص١١- ١٣ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٦٠.

(٣) تقدمة الجرح والتعديل ص١٧٧.

(٤) انظر: الزرقانى على الموطأ ص٣ جـ١.

(٥) مسند الإمام أحمد ص٤٨، ٤٩ حديث ٦٢٤ جـ٢.

٣ـ معنى الحديث والخبر والأثر:

الحديث لغة: الجديد من الأشياء، والحديث الخبر يأتى على القليل والكثير، والجمع أحاديث كقطيع وأقاطيع وهو شاذ على غير قياس.

وقوله تعالى: ﴿ **إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾ [الكهف: ٦] عنى بالحديث القرآن الكريم، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١] أى بلغ ما أرسلت به[١].

فالحديث والخبر فى اللغة مترادفان من وجه.

وقد تطور استعمال هذا اللفظ، وأصبح يطلق على نوع خاص من الأخبار فى الأوساط الدينية بدون أن يخرجه ذلك عن معناه العام، يقول ابن مسعود:

«إن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ» وهكذا أصبح القرآن أحسن الحديث. ثم حدد معنى الحديث أخيرا بأخبار الرسول، سأل أبو هريرة رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له الرسول: «**لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث**»[٢].

وقد سبق أن ذكرت معنى الحديث مرادفًا للسنة عند المحدثين. وقيل الحديث ما جاء عن النبى ﷺ والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث، وبالتواريخ ونحوها إخبارى[٣].

وقال ابن حجر فى شرح نخبة الفكر: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع، فيشمل ما جاء عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس.

---

(١) لسان العرب فى مادة (حديث) ص٤٣٨ جـ٢.

(٢) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٦ والحديث أخرجه البخارى: فتح البارى ص٢٠٤ جـ١.

(٣) انظر: تدريب الراوى ص٦ ومنهج ذوى النظر ص٨.

وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثرا). إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر، والمرفوع بالخبر[1].

فخلاصة القول:

إذا أطلق لفظ (الحديث) أريد به ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خُلقية. وقد يراد به ما أضيف إلى صحابى أو تابعى، ولكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبى ﷺ.

ويطلق الخبر والأثر ويراد بهما ما أضيف إلى النبى عليه الصلاة والسلام وما أضيف إلى الصحابة والتابعين وهذا رأى الجمهور. إلا أن فقهاء خراسان يسمعون الموقوف أثرا والمرفوع خبرًا.

الحديث القدسى:

وكل حديث يضيف فيه رسول الله ﷺ قولا إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسى أو الإلهى، والأحاديث القدسية أكثر من مائة حديث، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير[2]، ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) وإلى الإله أو إلى الرب، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى (من حيث إنه المتكلم به أولا والمنشئ له. وأما كونه حديثًا، فلأن الرسول هو الحاكى له عن ربه عز وجل، والفرق بينه وبين سائر الأحاديث، أن هذه نسبتها إليه، وحكايتها عنه فهو القائل وهو الحاكى عن نفسه، وأما تلك فلا)[3].

---

(١) انظر: تدريب الراوى ص٦ ومنهج ذوى النظر ص٨ والمنهج الحديث فى علوم الحديث ص٣١.

(٢) انظر: قواعد التحديث ص٣٩، وانظر الفرق بين الحديث القدسى والقرآن الكريم والحديث النبوى لنوح بن مصطفى الحنفى القونوى مخطوطة دار الكتب المصرية (مجاميع تيمور ٣٣) ص٧١، ٧٢.

(٣) المنهج الحديث فى علوم الحديث ص٣١، وقال: وأما الفرق بينه وبين القرآن فقد ذكروا للقرآن مزايا لم تكن لتلك الأحاديث فقالوا: (١) القرآن معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل، متواترة اللفظ فى جميع الكلمات والحروف والأسلوب. (٢) حرمة روايته بالمعنى. (٣) حرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب. (٤) تعينه فى الصلاة. (٥) تسميته قرآنا. (٦) التعبد بقراءته بكل حرف منه بعشر حسنات. (٧) امتناع بيعه فى رواية أحمد وكراهيته عند الشافعى. (٨) تسمية الجملة منه آية، ومقدار من الآيات مخصوص سورة. (٩) القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند رسول الله ﷺ ومعناه من عند الله تبارك وتعالى، بالإلهام أو المنام. وقد يكون بوحى جلى وليس الوحى الجلى شرطًا له بخلاف القرآن الكريم فإنه لا يكون إلا بوحى =

وقبل أن ندخل الباب الأول من الكتاب أرى الواجب أن أبين موضوع السنة ومكانتها من القرآن.

ثانيا: موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم[1]

لم يكن للأحكام فى عهد رسول الله ﷺ مصدر سوى الكتاب والسنة. ففى كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام، دون التعرض إلى تفصيلها جميعها والتفريع عليها، إلا ما كان منها متفقًا مع الأصول ثابتًا بثبوتها، لا يتغير بمرور الزمن، ولا يتطور باختلاف الناس فى بيئاتهم وأعرافهم، كل هذا حتى يساير القرآن الكريم كل زمن، ويبقى صالحا لكل أمة، مهما كانت بيئتها وأعرافها، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم. وإلى جانب هذه الأصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة، والآداب العامة والأخلاق..

وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم، تفسر مبهمه، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم،[2] فكانت فى الواقع تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم، تطبيقًا يتخذ مظاهر مختلفة، فحينا يكون عملا صادرًا عن الرسول ﷺ، وحينًا آخر يكون قولا يقوله فى مناسبة، وحينا ثالثًا يكون تصرفًا أو قولا من أصحابه ﷺ، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك، فلا يعترض عليه ولا ينكره، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريرًا.

= جلى، أى ينزل به الملك من عند الله بلفظه، وعلى هذا قد يكون الحديث النبوى بوحى، وقد يكون باجتهاد إلا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ. والحديث القدسى لا يكون إلا بوحى أعم من أن يكون جليًا، أو غير جلى، فيجوز روايته بالمعنى لأن لفظه للرسول ﷺ.

انظر: المنهج الحديث فى علوم الحديث ص٣١، ٣٢ وهوامشها نقلنا عنه بإيجاز وبتصرف.

(١) لمعرفة منزلة السنة من القرآن وعلاقتها به، راجع:

الرسالة للإمام الشافعى رحمه الله ص٩١ رقم ٢٩٩، وأصول التشريع الإسلامى: ص٤٠ وما بعدها، والمدخل إلى علم أصول الفقه: ص٥٥، والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ص٤٢٦ وما بعدها، وأسباب اختلاف الفقهاء: ص١١. والمدخل إلى السنة وعلومها: ص١٧ وما بعدها، وعلم أصول الفقه: ص٤١-٤٣ وتاريخ التشريع الإسلامى للسبكى وإخوانه: ص٦٦ وما بعدها: وتاريخ التشريعى الإسلامى للشيخ محمد الخضرى: ص٣٥.

(٢) انظر: ص٢٧ من هذا الكتاب.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يبين ما جاء فى القرآن الكريم، والصحابة يقبلون ذلك منه، لأنهم مأمورون باتباعه وطاعته، ولم يخطر ببال امرئ منهم أن يترك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام أو فعله، وقد عرفوا ذلك من كتاب الله تعالى، ففيه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فتقبل المسلمون السنة من الرسول ﷺ كما تقبلوا القرآن[١] الكريم استجابة لله ورسوله، لأنها المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم بشهادة الله عز وجل ورسوله.

وقد بينت السنة القرآن من وجوه[٢]، فبينت ما أجمل من عبادات وأحكام، فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها، فبين الرسول الكريم هذا بصلاته وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة، وقال: «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**»[٣]. وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام كيفيته، وقال: «**خذوا عنى مناسككم**»[٤]. وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع، كما لم يبين النصاب الذى تجب فيه الزكاة من كل، فبينت السنة ذلك كله.

---

(١) انظر: كيف تلقى الصحابة السنة وتمسكوا بها بعد قليل.

(٢) راجع المصادر المذكورة فى هامش(١) ص٢٨، وخاصة أصول التشريع الإسلامى لأستاذنا فضيلة الشيخ محمد على حسب الله: الصفحة ٤٠ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخارى فى حديث طويل، انظر: صحيح البخارى بحاشية السندى جـ١ ص١٢٥، ١٢٦ وجـ٤ ص٥٢ وأخرجه الدارمى: سنن الدارمى ١٤٨ ط كانفور سنة ١٢٩٣ وأخرجه الإمام أحمد.

(٤) صحيح مسلم ص ٩٤٣ حديث ٣١٠ جـ٢ وراجع بيان العلم ص١٩٠ جـ٢.

ومن بيان الرسول ﷺ للقرآن تخصيص عامه، من هذا ما ورد فى بيان قوله تعالى ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾ [النساء: ١١] فهذا حكم عام فى وراثة الأولاد آباءهم وأمهاتهم يثبت فى كل أصل مورث، وكل ولد وارث فخصت السنة المورَّث بغير الأنبياء، بقوله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»(١) وخصت الوارث بغير القاتل بقوله ﷺ: «**لا يَرِثُ الْقَاتِلُ**»(٢).

ومن بيانه ﷺ تقييد مطلق القرآن كما فى قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة: ٣٨] فإن قطع اليد لم يقيد فى الآية بموضع خاص، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع. ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ عندما «**أتى بسارق فقطع يده من مفصل الكف**»(٣).

وتأتى سنة الرسول ﷺ مثبتة ومؤكدة لما جاء فى القرآن الكريم أو مفرعة على أصل تقرر فيه. ومن ذلك جميع الأحاديث التى تدل على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج..

ومثال السنة التى وردت تفريعًا على أصل فى الكتاب(٤) منع بيع الثمار قبل بدو صلاحها. ففى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٩].

وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وجد المزارعين يتبايعون ثمار الأشجار قبل أن يبدو صلاحها، من غير أن يتمكن المشترى من معرفة كميتها وصلاحها، فإذا حان جنى الثمار كانت المفاجئات غير الطيبة كثيرًا ما تثير النزاع بين المتعاقدين،

---

(١) فتح البارى ص٢٨٩، ٢٣٩، ٣٣٥ جـ٦ وانظر: صحيح مسلم ص١٣٧٨-١٣٨٣ جـ٣ ومسند الإمام أحمد ص١٥٨، ١٦٠ جـ١.

(٢) سنن الترمذى كتاب الفرائض الباب (١٧) وسنن ابن ماجه فى كتاب الديات باب (١٤) وكتاب الفرائض باب (١٨) كما أخرجه الإمام مالك وأحمد وغيرهما.

(٣) سبل السلام ص٢٧، ٢٨ جـ٤ وقد روى هذا من حديث عمرو بن شعيب، وأخرجه الدارقطنى.

(٤) انظر: المدخل إلى علم أصول الفقه ص٥٦.

وذلك عندما يطرأ طارئ من برد شديد، أو مُراض شجرى يقضى على الزهر، وينعدم معه الثمر. لذلك حرم رسول الله ﷺ هذا النوع من البيع ما لم يبد صلاح الثمر[1]، ويتمكن المشترى من التثبت من تمام تكونها، وقال: «**أرأيت إذا منع الله الثمرة بم يأخذ أحدكم مال أخيه**[2]؟».

ـ وفى السنة أحكام لم ينص عليها الكتاب وليست بيانا له، ولا تطبيقًا مؤكدًا لما نص عليه كتحريم الحمر الأهليه، وكل ذى ناب من السباع، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها[3].

بعد هذا التمهيد نتقدم لدراسة السنة، منذ عهده ﷺ إلى عصر التصنيف المشهور وبالله التوفيق.

***

(١) راجع فتح البارى ص٢٩٨ جـ٥ كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها.

(٢) المرجع السابق ص٣٠٢ جـ٥ كتاب البيوع باب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ثم أصابته عاهة فهو من البائع. وقد روى هذا الحديث أنس بن مالك.

(٣) إن النوعين السابقين من البيان: (١) بيان السنة للكتاب بتأكيد ما جاء فيه أو التفريع على أصوله كتطبيق له- (٢) «بيان السنة لمجمله وتخصيص عامه وتقييد مطلقة» متفق عليهما إجماعا كما ورد فى الرسالة ص٩١. وأما هذا النوع ففيه خلاف، وللعلماء مذاهب فى تخريج ذلك وتعليله راجع الرسالة ص٩٢ وما بعدها وإعلام الموقعين ص٢٨٨-٢٩٠ جـ٢ وأصول التشريع الإسلامى: ٤٢ وما بعدها والمراجع المذكورة فى الصفحة: ٢٨ من هذا الكتاب.